التَّربية الإسلاميَّة ودورها في تحقيق التَّنمية المستدامة.

.Islamic education and its role in achieving sustainable development

أسامة رميلاوي * [1].

[1] كلِّية العلوم الإسلاميَّة، جامعة وهران 1 أحمد بن بلَّة _الجزائر_.oussama97remi@gmail.com

تاريخ الإرسال02/.../10./2026… تاريخ القبول: 30../10./...../2026 تاريخ النشر: 17../11./2026…

ملخص: ينقسمُ علمُ التَّربيةِ إلى أنواعٍ عدِّة، وذلك لتمازجه معرفياً مع حقول ومجالاتٍ علميَّة متنوعة، كعلم التَّربيةِ النَّفسي، علم التَّربية الصِّحي، علم التَّربية السُّلوكي، علم التَّربية الإسلامي...، ولقد بيَّنت الدِّراسات العلميَّةُ الحديثةُ وجودَ ارتباطٍ بينها وبين نهضة الأمم وتطوُّرها في مختلفِ المجالات والميادين ، فالدَّول الرَّائدة دائماً ما تستثمرُ في التَّربيةِ والتَّعليم وطرق التَّنشئةِ لتحقيق الاكتفاءِ الذَّاتي والتَّنميةِ المستدامة من نواحي متعدِّدة، والأمم الأقلُ نمواً ليس لهم بديل عن الاستثمار فيها وتحقيق المبتغى (أي التَّنمية المستدامة) على الصَّعيد الحاضرِ والمستقبل.

في هاته المداخلةِ العلميَّةِ بحولٍ من الله، وبالاستعانةِ بالمنهج الوصفيّ والتَّحليلي، سأحاولُ أن أعرضَ لدور التَّربيةِ الإسلاميَّة في تحقيق التَّنمية المستدامةِ وأبيّن صورها وطرقها في ذلك، مجيباً على الإشكاليَّة الآتية:

كيف حثَّت التَّربية الإسلاميَّة على التَّنمية المستدامة؟ ما صورُ ذلك؟ وما مدى تحقيق التَّنميةِ المستدامة بالاستثمارِ في التَّربية الإسلاميَّة؟.

الكلمات المفتاحية : تربية، شريعة، تنمية، عقوبات، تشريع، سنة، قرآن.

Abstract : Education has several branches due to its interdisciplinary connections with fields such as psychology, health, behavior, and Islamic studies. Modern research highlights its essential role in the progress and development of nations. Therefore, developed countries invest heavily in education and upbringing to achieve self-sufficiency and sustainable development, while developing nations must also prioritize education to secure sustainable development for .the present and future

In this scientific presentation, with the help and guidance of God, and by employing the descriptive and analytical approaches, I will attempt to examine the role of Islamic education in achieving sustainable development and to highlight its various forms and methods in this regard, :while addressing the following research questions

How has Islamic education encouraged sustainable development? What are the forms through which this is manifested? And to what extent can sustainable development be achieved through investment in Islamic education?.

Keywords Education, Sharia, Development, Penalties, Legislation.

* المؤلف المرسل

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

توطئة :

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على مولانا رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم، أما بعد:

لا شكَّ أنَّ التربية الإسلاميَّة العظيمة ليست حبيسة المساجد ولا مباينة للجانب المادي الدنيوي لحياة الإنسان، ومع أنه لا صلة مباشرة لها بالزراعة والصناعة والصحة وغيرها من مجالاتِ الحياة ظاهراً، إلاَّ أنها عون معين ومدد مديدٌ في تحقيق التَّنمية في هذه المجالات على القريب والبعيد، حاضراً ومستقبلا، ومن هذا المنطلق جاءت فكرة كتابة هذا الموضوع المعنون بـــ: " التربية الإسلاميَّة ودورها في تحقيق التنمية المستدامة".

تحاول هاته الورقة الإجابة على الإشكاليَّة الآتية: كيف حثَّت التَّربية الإسلاميَّة على التَّنمية المستدامة؟ ما صورُ ذلك؟ وما مدى تحقيق التَّنميةِ المستدامة بالاستثمارِ في التَّربية الإسلاميَّة ؟.

فرضيات الدراسة:

إذا قمنا بسبر وتقسيم احتمالات العلاقة بين التَّنمية والتَّربية الإسلاميَّة سنجد أنها لا تخرج عن ثلاث احتمالات، وهي إمَّا أنه:

- لا دور للتربية الإسلاميَّة في تحقيق التنمية.
- للتربية الإسلاميَّة دور هامشي في تحقيق التنمية.
- للتربية الإسلامية دور كبير في تحقيق التنمية. إلى القسمة.

ومن خلال ما سيكتب ويسطَّر سننظر أي الفرضيات المذكورة أحظى بالقبول وأقرب للصواب.

أهمية الموضوع:

- أهميَّة الموضوع من أهميَّة متعلَّقيه، فهو يتعلَّق بجانبين اثنين تقوم عليهما حياة الإنسان، فالتربية الإسلاميَّة ترتبط أساساً بالجانب الرُّوحي التَّربوي، فيما تتعلَّق التنمية المستدامة بالجانب المادي الَّذي يحقق الحياة الهنيَّة ورغد العيش للإنسان.
- كما للموضوع أهميَّة كبيةٌ من جهة ضرورة الوصول إلى نتيجة عمليَّة لدور التَّربية الإسلاميَّة في تحقيق الَّتنمية، إمَّا قبولا واعتماداً أو رداً وإبعادا.

الدراسات السابقة:

وردت دراسات سابقة في الربط بين التربية الإسلاميَّة ولتنمية المستديمة، مثل:

- مقال لـ: صبحي رمضان فرج سعد بعنوان: الإسلام والتنمية المستدامة _مقومات البناء الإنساني_
- كتاب الإسلام والتنمية المستدامة، لـ مصطفى عطية.
- مقال: بلمشري بشرى، بن عوالي الجلالي، حدوش شروق، البيئة والتنمية المستدامة من منظور إسلامي.

والشيء الَّذي يظهر مغايراً في هذه الدراسات عمَّا سبق _ والله أعلم_:

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

- جمع المسائل بعضها تحت بعض بطريقة أضبط وأجمع، مع التَّفرقة بين الآليات كقواعد موضوعة لتحقيق التَّنمية، والصُّور كنماذج وتمثيلات.
- مع بيان وجه الدَّلالة بطريقة أدق في بعض الاستدلالات على آليات أو نماذج تطبيق التَّربية الإسلاميَّة في تحقيق التَّنمية.

أسباب اختيار الموضوع.

- زعم بعض الناس واعتقادهم أنَّ التربية الإسلاميَّة صارفةٌ للرُّقي الحضاري والتَّطور المعاصر.
- غياب الاستثمار في التربية الإسلاميَّة لتحقيق الَّتنمية عند كثير من المحافظين على الهويَّة الإسلاميَّة.

المنهج المتَّبع.

تتبَّعت المنهج الوصفيَّ التحليليَّ وكذا الاستقرائي في كتابة أسطر هذا المقال، وذلك من خلال استقراء وتتبُّع بعض النُّصوص القرآنيَّة والنبويَّة فيما يتعلَّق بالتَّنمية المستدامة، ومحاولة تحليلها ووصفها للقارئ بحسب الطَّاقة.

1.1 حقيقة التربية الإسلاميَّة وأهدافها.

لقد تنوَّعت تعريفات الكاتبين في هذا الحقل للتَّربية الإسلاميَّة، ومع ذلك فهي قريبة بعضها من بعض، فمثلاً عرّفت بأنها: " منهج كامل للحياة، ونظام متكامل لتربية، ورعاية النشء، وتحرص على الفرد، والمجتمع، وعلى الأخلاق الفاضلة، والقيم المادية والروحية الرفيعة، وتوازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة" (سيد، 2008م، صفحة 18)، كما قصدَ بالتربية الإسلامية: "علم إعداد الإنسان المسلم لحياتي الدنيا والآخرة إعدادًا كاملا من الناحية الصحية والعقلية والعلمية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والإرادية والإبداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم الإسلامية وفي ضوء أساليب ووسائل وطرق التربية التي بينها الإسلام" (يالجن، 1990م، صفحة 26).

ويهدف هذا النَّوع من التَّربية استناداً على ما عُرِّفت به إلى:

- إعداد الإنسان عقدياً، من خلا تصحيح عقيدته وتربيتها على الصَّحيح دون الفاسد من ديانات والملل والنِّحل، والخضوع لله عبادةً واتباعاً.
- إعداد الإنسان أخلاقياً، وهذا من جهة زرع الأخلاق الحميدة، وتأديب النفوس والطباع والأمزجة بما يتوافق مع الفطرة السويَّة، لذلك قال صلى الله عليه وسلم: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وقال: " أَلا أُحَدِّثُكُمْ بِأَحَبِّكُم إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُم مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُهَا، قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَقَالَ: " أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا " (الشيباني، 1995م، صفحة 609 ج11).
- الاعداد الدُّنيوي المادي والاجتماعي والمهني العملي...، من خلال نشر العلم وبناء العقل الرزين الَّذي يسيره، والحثِ على العمل الحلال والنهضة الدنيويَّة، والأخذ من نصيب الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص [37]، ويشتمل العمل النافع على اكتساب المعرفة اللازمة لتسخير ظواهر الكون، وتصنيع موارد الأرض وثرواتها وخاماتها بما يعود بالنفع على الفرد. لمجتمع والناس أجمعين (سيد، 2008م، صفحة 21).

وتمتاز التربية الإسلاميَّةُ وتختصُّ بالوحدة والشمول، فالله خلق الناس جميعًا للتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ما تعبر عنه وحدة الإنسانية. والإسلام يحث على طلب العلم والاهتمام بجميع مجالات وحقول المعرفة التي تفيد الفرد والمجتمع، وتنظر إليها نظرة واحدة. ويطالب الإسلام الإنسان بالنظر في مختلف المعارف والعلوم التي تقوي الإيمان بالله، وتحقق الفوائد للناس في حياتهم، وفي تطوير مجتمعاتهم.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

ويوجه القرآن النظر إلى الآيات الكونية التي تتدبر العلوم الفلكية، والطبيعة وما فيها من عبر بالغة تهدي الناس إلى الإيمان بالله وحده، كما في قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل عمران:[190، 191].

وكما أنَّ التربية الإسلامية تتطابق مع شمول نظرة الإسلام إلى الإنسان، كذلك تهتم بالتربية الدِّينية والخلقية والعلميَّة والبدنيَّة اهتمامًا متوازنًا دون إفراط أو تفريط، فهي تعنى بتربية النفس والعقل، وبتربية الجسم أيضًا.

وتتميَّزُ التربية الإسلاميَّةُ بخصيصة التوازن في النَّظرية والتطبيق، والتَّوازن في تنظيم المعرفة الإنسانية التي تفيد الفرد والمجتمع، وتعنى التربية الإسلامية بالتطبيق العملي الذي يعود بالفائدة على البشر. ويلوم الله -جل وعلا- الذين يقولون ما لا يفعلون بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2، 3].

وتتَّسمُ بالمرونة المتجلِّية في أن القرآن "لم يحدد منهجا سياسيا، ولم يرسم دستورا محددا، فقد أراد الله أن يفتح سبيل الاجتهاد والأخذ بالعلم، واستنباط المناهج والأحكام من الظروف المتغيرة دون تكبيل بمنهج سماوي جامد محدد، وقد تأثرت مناهج الدراسة بهذه المرونة، فمنهج التربية الإسلامية المتميز والأصيل يتسع للتطور والتغيير كلما دعت الحاجة إلى ذلك، لأنه مرتبط بواقع المجتمع وبتغيرات الحياة وبحاجاته ومشكلاته المتطورة" (سيد، 2008م، صفحة 23_24).

2.1 حقيقةُ التنمية المستدامة وأهدافها.

معنى التنمية المستدامة: القدرة على تلبية حاجيات الأمَّة في الحاضر دون أن تُمسَّ حقوق الأجيال بما يؤثر على قدراتها في تحقيق احتياجاتها (نايف.، 2013م، صفحة 143). وفي المنهج الإسلامي تشمل الإنسان فكراً وروحاً، بالإضافة إلى البيئة الخارجيَّة المحيطة به، وفقاً للمنهج الربَّاني الحكيم وضوابطه (بلمشري بشرى، بن عوالي الجلالي، حدوش شروق، 2021م).

إذا تتبَّعنا النُّصوص القرآنية والأحاديث النبويَّة، سنجد أن الإسلام يهدف من خلالها إلى تحقيق تنمية حقيقة مستدامة، أبرز أهدافها القضاء على الفقر والجوع، وتوفير الأمن الغذائي وتعزيز الزراعة المحسنة المستدامة، (القادري، 2022م) وقد دلَّت عليها قول الله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾. وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم﴾ التوبة [60].

كما تهدف إلى (القادري، 2022م، صفحة 334):

- الصحة الجيدة والرفاه بدليل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف [31].
- التعليم الجيد، ودلَّ عليها قول الحق سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾. الزمر[09].
- العمل اللائق ونمو الاقتصاد، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيرًا مِن أَنْ يَأْكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِن عَمَلِ يَدِهِ" (البخاري، 1993م، صفحة 730 ج2)

2. آليات تحقيق التنمية

1.2 غرس القيم والأخلاق.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

لقد جاء الإسلام بضرورة تحلِّي أفراد المجتمع بالأخلاق الفاضلة والقيم الحميدة، وتزرع التَّكافل والتَّآزر والتَّآخي بينهم، ولأنها تحقِّق الاستقرار النفسيَّ والمادي للإنسان فرداً وجماعات. وعلاقة الأخلاق بالتَّنمية المستدامة وطيدة، حيث أنَّها تضبط سلوك الإنسان وتحدِّد واجبه الإنساني نحو الشُّعوب الأخرى، ونحو شعبه بالدرجة الأولى على المستوى الحاضر والمستقبل، وقد أجمع علماءُ الإسلام المهتمون بالاقتصاد على أن التَّنمية الحقيقيَّة تقوم أساساً على الرَّكيزة الأخلاقيَّة، ومراعاة هذا البعد النَّبيل في المحطات الاقتصاديَّة التي يعتبرها الاقتصاد التَّقليدي محرك التنمية بمعناها الصرف (الانتاج، التداول والاستهلاك)، فتترتب سلوكٌ وممارسات يحتاجها ويبحث عنها المهتمون بالتنمية، لإشباع الروحي سبب وأساس ثابت لتحقيق التنمية، والجوانب المادية ليست إلا وسائل تتغير بتغير الأزمان، وقد تم تقديم المتغير على الثابت في هذا الزمن (جمعة، 2016م، صفحة 185_186).

فـ: "الإشباع الروحي سبب وأساس ثابت لتحقيق التنمية، والتنمية بالمفهوم الوجداني لا مكان لها في مؤشرات وأدلة التنمية بالمفهوم المعاصر الذي تغلب عليه الصبغة المادية البحتة" (سعد، 2025م)، والتَّخلُّق بالرَّحمة والأمانة والعدل والصدق، والتَّكافلِ... وغيرها_ تغرس في المرءِ تجاوز المصلحة الخاصَة إلى المصلحة العامة، وتستلزم ادخار الموارد والمنتجات للأمة، مع الاشفاق على النَّاس والعمل على تقديم العون في تحقيق التنمية حاضراً ومستقبلا. ودعم ومساندة الفئات الفقيرة والمهمشة على المستوى القريب والبعيد. وما وصلت إليه الدَّولة الإسلاميَّة من العهد النَّبوي إلى عهد عمر بن عبد العزيز إلاَّ بالأخلاق الحسنة والإشباع الروحي لجميع أفراد المجتمع حكَّاماً ومحكومين.

كان من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم الحثُّ على إعانة المسلمين وقضاء حوائجهم، ويدخل في الحكم المسلم في الحاضر والمستقبل، قال صلى الله عليه وسلم:" من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه" (الشيباني، 1995م، صفحة 321 ج 23) ، ولا ريب أن نفع الأمة بتحصيل التَّنمية المستدامة لها وللأجيال القادمة نفع عظيم.

لقد كان من وصايا خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلَّم لولاتهم (المسؤولون الإداريون بالمعنى المعاصر) ، التَّحلي بالرفق حتى مع الكفار أهل الذّمة، قال على بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يوصي ولّيه على قوم: "انظر إذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيفا، ولا رزقا يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن أحدا منهم سوطا واحدا في درهم، ولا تقمه على رجله في طلب درهم، ولا تبع لأحد منهم عرضا1 في شيء من الخراج؛ فإنا إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو2. فإن أنت خالفت ما أمرتك به يأخذك الله به دوني وإن بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك" (يعقوب، 1431، صفحة 25).

كما يدخل في هذا المعنى مجموعة الركائز الإيمانيَّة الَّتي أمر الله بها من التَّقوى والعمل الصَّالح وشكر المنعم (سعد، 2025م)، حيث أنها سبب من الأسباب المعنويَّة التّي بسببها تتنزَّل رحمات الله وتتحقَّق بها ظروف وأسباب حصول التنمية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. [الأعراف: ٩٦]، بمعنى إذا هم آمنت قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقت به واتبعوهم واتقوا بفعل الطَّاعات وترك المحرَّمات نزل عليهم القطر ن السماء وظهر نبات الأرض (كثير، 1431، صفحة 65 ج 3) وقال أيضاً: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل112]. أي: "ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شيء، ويأتيها رزقها رغدًا من كل مكان" (كثير، 1431، صفحة 717 ج4).

2.2 عمارة الأرضِ والإصلاح فيها.

لقد أخبرنا القرآن الكريم أنَّ الإنسان مستخلف في هذه الأرض، ومن مقتضيات الاستخلاف عمارتها وإصلاحها، وتحقيق النفع فيها ديناً ودنيا، قال الله تعالى حكاية عن سيدنا صالح عليه السلام وهو يعدعوا قومه ويبين لهم منن الله عليهم: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فيها﴾ هود [61]، ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ أي: "جعلكم عُمَّارًا تعمرونها وتستغلونها فالله سخر للإنسان ما في الأرض ليستفيد منها ويصلح بها في أحواله ومجالاته كلِّها" (كثير، 1431، صفحة 456 ج4)، قال تعالى: ﴿أولَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَة ﴾ [لقمان: 20]. وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: 25]، فقوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني: السلاح كالسيوف والحراب

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

والسنان والنصال والدروع ونحوها ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي: في معايشهم كالسكة والفأس والقدوم والمنشار والإزميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز، وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك" (كثير، 1431، صفحة 188 ج8)

والإصلاح في الأرض يكون بصور متعدِّدة منها:

1.2.2 العلم والتَّعلُّم:

لاشكَّ أنَّ العلم أول الأسباب الَّتي يعوَّل عليها في بناء الأمم والحضارات، وأوَّل أسباب رقيها وازدهارها، فلا صناعة ولا تجارة ولا صحَّة... إلاَّ بالعلم، وما التَّطوُّر الَّذي بلغته الأمة في حاضرها إلا به. وقد حثَّ النَّبي صلى الله عليه وسلَّم على العلم فقال: "مَن سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له مَن في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضلُ العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورَّثوا العلم، فمَن أخذ به أخذ بحظ وافرٍ".

وعليه فالاستثمار في العلم والتَّعلُّم جعلت منه التربية الإسلاميَّة سيلاً لحصول التنمية في كلِّ القطاعات، فلا تنمية مستدامة للمدارس والجامعات أو المؤسَّسات الاقتصاديَّة والتجاريَّة إلاَّ بحاضرٍ متعلمٍ أساتذته ومربوه والقائمين عليه، ولا يختصُّ العلم بمجال دون آخر، فمن الرياضيات إلى الكيمياء والطب والفيزياء، مرورا بمختلف تخصَّصات والعلوم الانسانيَّة والاجتماعيَّة من التاريخ واللغات وعلم النَّفس...، كلُّها علوم تحتاجها الأمة، ويجب الاستثمار فيها. فمثلاً:

- ضرورة تعلُّم اللغات ورد أن زيد بن ثابت قال:" أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ " (الشيباني، 1995م).
- ضرورة اكتساب العلوم الكونية ما جاء ظاهراً في سياق قول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُود ﴾ فاطر[27].
- ورد في تعلُّم علوم الصناعة والحرف والمعدات العسكريَّة : قوله تعالى وصفاً لنبيه داوود: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: 80]. حيث ورد في تفسيرها أنَّها صناعة الدروع (كثير، 1431، صفحة 348 ج5).

2.2.2. العمل والتَّكسب:

يحثُّ الإسلام على العمل وعدم الركون إلى البطالة والاتِّكال على الآخرين، إذ كلَّما عمل الإنسان وتكسَّبَ بجهده كان ذلك أنفع له وأفضل في جميع المجالات، فالأصل أن يأكل المؤمنون من قوت أيدهم، ويبنوا دُورَهم بأنفسهم، وأن يكتسبوا المعارف والحرف، صونًا لأمنهم القومي في كل المجالات خاصة في الصناعة والاقتصاد، وهذه خصلة الأنبياء المرسلين، والصحابة المرضيين، قال تعالى واصفاً نبيَّه داوود: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: 80]، وقال صلى الله عليه وسلَّم: مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيرًا مِن أَنْ يَأْكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ" (البخاري، 1993م). و قد حثَّ القرآن على الاستثمار في الكون ، واستغلال ما فيه والتَّكسب مما ينتجه، قال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ 15**﴾ الملك [15]، أي: "فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئًا إلا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ فالسعي في السبب لا ينافي التوكل" (كثير، 1431، صفحة 333 ج8).

3.2.2. إحياء الموات:

لقد شبَّهت التربية الإسلاميَّة بفقهها الأرض التي لا عمارة ولا ماء فيها، ولا يملكها ولا ينتفع بها أحد، بالموات، وجعلت إحياءها التَّسبب للحياة النَّامية فيها، وشبهت العمارة بالحياة، وتعطيلها بعدمه، وإحياء المواد يراد

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

به:" يعني استصلاح الأراضي الزراعية أو جعلها صالحة للزراعة، برفع عوائق الزراعة من أحجار وأعشاب منها، واستخراج الماء، وتوفير التربة الصالحة للزراعة، وإقامة الأسوار عليها أو تشييد البناء فيها" (الزحيلي، 1433هـ، صفحة 4614 ج6)، بل وجعل الدين الإسلاميُّ إحياءها سبباً لتملّكها حثاً على العمل والإصلاح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: "من أحيا أرضا ميتة فهي له" (البخاري، 1993م، صفحة 823 ج2).

3.2 الاستثمار في الموارد ووجوب إعادة تدوير المخلفات واستخدامها

كلُّ ما في السماوات والأرض مسخرٌ للإنسان برحمة من الله ومننه، قال تعالى في معرضِّ بيان تفضُّله على خلقه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ 13﴾ الجاثية [13].

وقد حثت الشريعة على الاستفادة الكاملة من الموارد الَّتي سخَّرها الله له والاستثمار فيها لتحقيق النَّفع في مجالات الحياة، فمثلاً:

- في الجانب الزراعي يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ 53 كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ 54﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ البقرة [168] والشَّاهد في قوله تعالى: " كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ " أي كلُوا أيُّها الناسُ من طيّب ما أُخْرَجْنا لكم بالغيث الذي أنْزَلناه من السماء إلى الأرض من ثمار ذلك وطعامه، وما هو من أقواتكم وغذائكم، وارْعَوْا فيما هو أزراقُ بهائمكم منه وأقواتُها – أنعامكم (الطَّبري، 1422هـ، صفحة 86 ج17).
- وفي جانب العسكري والاقتصادي قال تعالى مبيّناً وجه الانتفاع بالحديد: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ الحديد[25]، فـ: "البأس الشديد" السيوف والسلاح التي يقاتل الناس بها، و"منافع للناس" يحفرون بها الأرض والجبال ويستعينون بها على ما ينفعهم (الطَّبري، 1422هـ، صفحة 424 ج22).

كما حثَّ الدين الإسلاميُّ على الاستفادة من الموارد حتى بعد الانتفاع منها، من جهة إعادة تدويرها إن كان منها ما يصلحُ أن يُرسكل، (عدم هدر أي جزء منها، عبر تدويرها أو إعادة استخدامها)، فمن ذلك ما جاء عن ميمونة رضي الله عنها أنها قالت: "مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة يجرونها، فقال: (لو أخذتم إهَابها) فقالوا: إنها ميتة، فقال: (يطهرها الماء والقَرَظ)" (الشيباني، 1995م، صفحة 414 ج44). (سعد، 2025م).

3.2 الإنفاق وتشريع الوقف:

وهذه آليَّة من آليات تحقيق التنمية، حيث حثَّ الإسلام على الإنفاق والتصدق، وفي هذا عون للمسلمين ودعم صحي واقتصاديٌّ وفلاحي وعسكريٌّ واجتماعي، مادامت النفقة والصدقة تشمل جميع الجهات المباحة في حياة المؤمن، فهي نماء للمال، ودعم للخلان، والصدقة الجارية الدائمة نفعها في حياته وبعد موت مماته، رتَّب ربنا عليها الخير الكثير والشكر الجزيل والأجر العظيم، والمتصدق مشارك في التنمية ولو بعد مماته قال صلى الله عليه وسلم: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له بخير " . فانظر مثلا إلى نهضة الأمة وارتفاع تنميتها في:

- الفلاحة إذا ما اتبعنا قول النبي صلى الله عليه وسلَّم: "ما من مسلم يغرس غرسًا، إلا كان ما أُكل منه له صدقة، وما سُرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يَرْزؤه أحد إلا كان له صدقة". وذكرَ في الحديث التعبير بالأكل لأنه أهم مقاصد النفع، والمراد مطلق الانتفاع ولو بالظل أو باللمس أو بالريح أو بالمنظر الجميل (شاهين، 2002، صفحة 266 ج6).
- الصِّحة في: إذا ما تصدَّق المؤمن بآلات طبية، ومعدات صحيَّة يحقق بها اكتفاء أمته في هذا المجال.
- في الاقتصاد: إذا ما تبرع بتجارة، أو أعان في تعمير مصنع، يدعم تطور أمته اقتصادياً ومالياً.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

- في الجانب العسكري: بشراء العدَّة وتجهيز الجيش، وتقديم العون المادي لهم، نصرة لدينه، وتقوية لأمته، وتنمية لها في هذا المجال.

ومن الأمور الَّتي تنتج تنمية اقتصاديَّةً وصحيَّة وعسكريَّة...، تنهض بالأمة وتحسن من أحوالها تشريع الإسلام للوقف، وهو بمعنى التحبيس والتسبيل، و في الاصطلاح الشرعي: " إعطاء منفعةِ شيءٍ مدَّة وجوده، لازمًا بقاؤه في ملك معطيه، ولو تقديرًا"، سواءً كان للتَّأبيد أو لا، كأن يستأجر داراً مملوكة أو أرضاً مدة معلومة، ثم يقف منفعتها لمستحق آخر غيره في تلك المدة (الزحيلي، 1433هـ، صفحة 6702 ج10)، أو تحويل المال في المجتمعات إلى مشاريع تخدم البنية التحتية للمجتمعات من صناعة وزراعة وتجارة، وغيرها من مجالات التنمية، إضافة إلى توجيه هذه المشاريع الأساسية إلى تنمية المجتمعات، بمعنى أن تكون مشاريع ضخمة وتمتد لمدد زمنية طويلة تمتد إلى مئات السنوات، وأحسن أداة مالية يمكن أن تحقق هذه المشاريع هي الأوقاف، فتحقق ربحا للمستفيدين، وتحقق تنمية اقتصادية مستدامة للمجتمعات، مما يجعل الوقف أداة فاعلة في تحقيق هذا المقصد الاقتصادي المهم في المجتمعات الإسلامية (مؤلِّفين، 2017م).

4.2 الادخار والاعتدال في الإنفاق.

لقد أمر الله عباده بالصَّدقة والانفاق في آيات كثيرة ودلَّت على ذلك أحاديث عديدة، ومع ذلك فقد أمر المشرّع الكريم على ضرورة إبقاء قَدرٍ من ماله لنفسه ولِمَن يَعُول، تحسُّباً لنوائب الدهر وتقلُّبات الأحوال، وحفاظاً على حقّ أبنائه من بعده. وهذا المعنى يدلُّ عليه قول الله: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة: 3]، فوجه الدلالة في قوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾، حيث "عبَّر في هذه الآية الكريمة "بِمِن" التبعيضيَّة الدَّالة على أنه يُنفِق لوجْه الله بعضَ ماله لا كلَّه، ولَم يُبيِّن هنا القَدْر الذي ينبغي إنفاقُه، والذي ينبغي إمساكُه، ولكنَّه بيَّنَ في مواضعَ أُخَر أنَّ القَدْر الذي ينبغي إنفاقُه هو الزائدُ على الحاجة وسَدِّ الخَلَّة التي لا بدَّ منها، وذلك كقولِه :﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [البقرة: 219]، والمراد بالعفو: الزائد على قَدْرِ الحاجة التي لا بدَّ منها على أصحِّ التفسيرات، وهو مذهب الجمهور (الشنقيطي.، 1995م، صفحة 10 ج1)".

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]، هنا وصفٌ من الله تعالى لعباده بأنهم لا يُسرِفون إذا أنفَقوا، ومُقتضى ذلك إبقاءُ جزءٍ من المال وعدمُ إنفاقه كلِّه. وقد ورد في حديثٍ نبوي، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: مرضت بمكة مرضا، فأشفيت منه على الموت، فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني، فقلت: يا رسول الله، إن لي مالا كثيرا، وليس يرثني إلا ابنتي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: (لا). قال: قلت: فالشطر؟ قال: (لا). قلت: الثلث؟ قال: (الثُّلث كبير، إنَّك إن تركت ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس... (البخاري، 1993م، صفحة 2476 ج6)".

ولنا في قصَّة عر ابن الخطَّاب رضي الله عنه مثال، حيث منع قسمة أرض السواد في العراق (وهي أرض كثيفة الزرع والأشجار إلى درجة السواد) على المجاهدين بعد فتحها حفاظاً لحقّ الأجيال القادمة، لما افتتح المسلمون السواد قالوا لعمر بن الخطاب: اقسمه بيننا فأبى، فقالوا: إنا افتتحناها عنوة قال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟ (الجوزجاني، 1982م، صفحة 268 ج2).

5.2 النهي عن الفساد.

الفساد ضدُّ الصَّلاح، وهو من المنظور الشَّرعيّ الدِّيني العمل بما نهى الله عنه وتضييع ما أمر به، وهو عامٌّ في كلِّ ما هو ضار غير منتفع به حساً ومعنى (الطَّبري، 1422هـ)، وقد نهى الإسلام عنه وذمَّ أهله في أكثر من موضع في القرآن، لأنه معطِّلٌ لحظ الإنسان من الدنيا ومعطِّلٌ لاستثمار الموارد الَّذي سخَّرها الله له، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ﴾ [الأعراف: 84]، وقوله: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ 77﴾ [القصص: 77]، فمن صور الفساد المنهيّ عنه المسبِّب تعطيل التنمية حاضراً ومستقبلا:

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

- عدمُ إهلاك الحرث والنَّسل، أحد صور الّهي الإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقد ذُكر في تفسير الآية أنَّها نزلت في رجلٍ يسمَّى الأخنس بن شريق، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعم أنه يريد الإسلام، ثم خرج من عنده صلى الله عليه وسلم فمر بزرع لقوم من المسلمين وحُمُر فأحرق الزرع وعقر الحُمُر (الطّبري، 1422هـ).
- النَّهي عن التبذير في المأكل والمشرب والملبس، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِد وَكُلُواْ وَٱشرَبُواْ وَلَا تُسرِفُوٓاْ ﴾ [الأعلاف31].
- منع النبي صلى الله عليه وسلم قتل البهائم والأنعام أو قطع الثمار والنخيل والأشجار حتى أثناء الحرب فقال: "ولا تَقْتُلُوا وَلِيدًا طِفلًا ولا امرأةً ولا شيخًا كبيرًا ، ولا تُغَوِّرُنَّ عيْنًا ، ولا تَعْقُرُنَّ شجرَة إلا شجرًا يمنعُكم قِتالًا أو يحجزَ بيْنَكم وبيْنَ المشركينَ".

6.2 تحريم تعطيل الموارد.

ممَّا تعلّمنا إياها التربية الإسلاميَّة تحقيقاً للتنمية حرمة تعطيل الموارد، إذ الثروة المائيَّة والغابية وما في حكمها ممَّا تحصل بهما التَّنمية المستدامة حاضراً ومستقبلا، ولقد نهى الإسلام عن العبث فيهما وإفسادهما لما ينتج عنه من تعطيل للموارد المساهمة في نهضة الأمة.

- جاء في حديث النَّبي صلى الله عليه وسلَّم: " اتقوا الملاعن الثلاث " قيل: ما الملاعن يا رسول الله؟ قال: " أن يقعد أحدكم في ظل يستظل فيه، أو في طريق، أو في نقع ماء" (الشيباني، 1995م، صفحة 449 ج4)، فقوله "أو في نقع ماء" يقصد به منابع الماء. كالبئر أو النهر أو البركة الّذي ينتفع منها النَّاس.

- كما دعت الشريعة إلى الاهتمام بالأجيال القادمة في قصة الصحابي الذي نهاه عن التصدق بكل ماله، أوإحياء الأراضي الموات، أو عدُّ العدة والاستعداد العسكري...

7.2. فتح المصالح وسد الذريعة.

في باب التَّشريع يبحث علماء الشريعة والتَّربية الإسلامية مسألةَ سد الذَّريعة، والذريعة "هي ما كان وسيلةً وطَريقًا إلى الشَّيءِ، لكِن صارَت في عُرفِ الفُقَهاءِ عِبارةً عَمَّا أفضَت إلى فِعلِ مُحَرَّمٍ"، وسدّ الذريعةِ المقصود بها " حسم مادة وسائل الفساد دفعا لها " (القرافي، صفحة 32 ج3).

وهي مبحثٌ أصيل في درء المفاسد جاء به الإسلام، واعتنى بالبحث فيه الأصوليون والفقهاء والعلماء الباحثون في أحكام أفعال المكلَّفين، إذ حثَّ الإسلام على سدِّ أبواب الشر والمفاسد، وفتح أبواب الخير والمصالح. وحتى المباح إذا كان ذريعة إلى ممنوع صار ممنوعا من باب سد الذرائع، لا من جهة كونه مباحا (الدين، 1987م، صفحة 172 ج6)، فمن سد الذرائع لتحقيق التنمية المستدامة ترك التَّصدق بجميع المال حفاظاً عليه ورعاية لحق الأجيال، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ﴾ **]الفرقان: 67[** ، وفي قوله صلى الله عليه وسلَّم للصحاب الَّذي جاء يتصدق بجميع ماله دليل، روي عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: مرضت بمكة مرضا، فأشفيت منه على الموت، فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني، فقلت: يا رسول الله، إن لي مالا كثيرا، وليس يرثني إلا ابنتي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: (لا). قال: قلت: فالشطر؟ قال: (لا). قلت: الثلث؟ قال: (الثلث كبير، إنك إن تركت ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس" (البخاري، 1993م، صفحة 2467 ج6).

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

ملاحظة: يمكن إرجاع سبل وآليات تحقيق التّنمية المستدامة من منظور التربية الإسلاميَّة إلى أمرين اثنين عامَّين، يندرج تحت كلِّ سبيل مجموعة أسباب، وهذان الآليتان الكبرايتان هما:

- **تحقيق أسباب التنمية:** ويندرج تحتها: غرس القيم والأخلاق، عمارة الأرضِ والإصلاح فيها، الإنفاق وتشريع الوقف، الادخار والاعتدال في الإنفاق.
- **تجنب عراقيل التنمية:** النهي عن الفساد، سد الذرائع المفضية إلى تعطيلها، عدم تعطيل الموارد ووجوب الانتفاع بها.

3. نماذج من توظيف التربية الإسلاميَّة في تحقيق التنمية.

1.3 نموذج نبي الله يوسف الصديق:

نقل القرآن الكريم نموذجاً لخطَّةٍ ناجحةٍ في تحقيق التَّنمية المستدامةِ في إطار شاملٍ للآليَّات الَّتي ذكرناها، من الأخذ بالأسباب ودفع الموانع، وبما يلبي حاجة الفرد والجماعة.

في قصَّة يوسف عليه السَّلام (وهو نبيٌّ مسلم كما حدَّث القرآن عنه وعن آبائه) إظهارٌ لخطَّة إداريَّة وتأكيد لدور التَّربية الإسلاميَّة في تحقيق التَّنمية.

كان قد رأى حاكم مصر آنذاك رؤيا مناميَّة ، خلاصتها أن سبع بقرات عجاف ضعاف يأكلن سبع بقرات سمان، ورأى سبع سنابل خضر وسبعاً يابسات، قد أوَّلها نبي الله بالحالة الاقتصاديَّة التي ستمرُّ بها ممصر، حيث سيأتي على النَّاس سبع سنوات من الازدهار ورغد العيش، خيرها كثير ومحصولها وفير، يتبعها سبع سنين من القحط وقلة المطر والزراعة والمؤونة، قال تعالى حاكياً هاته القصَّة: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ 43﴾ يوسف[43]، إلى أن قال على لسان يوسف عليه السَّلام: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ 47 ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ 48 ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ 49﴾ يوسف[47_ 49].

وكما قلت قد تضمَّنت هاته القصَّة أنموذجاً من نماذج التخطيط للتَّنمية المستدامة من منظور التربية الإسلاميَّة، على النَّحو الآتي:

- في الآليَّة الأولى الَّتي ذكرناها لتحقيق التنمية وهي غرس القيم والأخلاق، كان قد ذكرها سيدنا يوسف عند طلبه تولّي مقاليد الحكم، وتلك الأخلاق هي الأمانة والعلم والعدل، سواءٌ عند بدء المهمَّة أو عند توزيع المحاصيل، يقول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ يوسف: [٥٥]، "فهذا من يوسف صلوات الله عليه مسألة منه للملك أن يوليه أمر طعام بلده وخراجها، والقيام بأسباب بلده (الطَّبري، 1422هـ، صفحة 219_ج13)".
- العلم والعمل الدَّائم كآليَّتين لتحقيق التنمية، قد ذكرهما ربُّنا على لسان نبيِّه، فالعلم حين قال: ﴿إني حفيظ عليم﴾، وقد ورد في وجهٍ من أوجه تفسيرها: حافظ للحساب حافظ لما استودعتنى، عالم بما وليتنى (الطَّبري، 1422هـ، صفحة 219 ج13).
- تجاوز الفساد وعدم تعطيل الموارد وترشيد الانفاق، آليَّات انتهجها يوسف عليه السلام، حيث جعلها من أولويَّات تحقيق التنمية المستدامة، تتلخَّص في إبقاء المحصول في سنابه وضرورةُ تحزينه والعناية به لئلا يفسد، وكذا عدم استهلاكه كاملاً حتى مضيّ سنوات الحاجة والفقر ترشيدا في النَّفقة، قال تعالى حكاية عن يوسف: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ 47 ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ 48 ﴾ يوسف[47_48].

2.3. نموذج الدَّولة النَّبويَّة والخلافة الراشدة.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

لا مراء ولا جدال ولا أدنى شكٍّ أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلَّم قد أسَّس دولة إسلاميَّة عظيمة، ولم تقتصر دولته صلى الله عليه وسلَّم على الجانب الدِّيني فقط، حيثُّ أنه أرسى صلى الله عليه وسلَّم قواعد التنمية المستدامة في حياته، وما ذكر من قبل في آليَّات التَّنمية من القرآن أو الأحاديث فمستمدَّة من النَّقل عنه صلى الله عليه وسلَّم.

ثمَّ قد جاء الخلفاء الراشدون كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي من بعده فساروا على نهجه ديناً ودنياً، واعتنوا بالتنمية المستدامة حق الاعتناء، وطبَّقوا آليَّاتها المستمدَّة من الوحيين.

في آليَّة التَّحلِّي بالأخلاق أرسى النَّبي صلى الله عليه وسلَّم مجموعة قيم، وثبَّتها الصحابة والخلفاء الراشدون من بعده، وظهر تبعاً لذلك ما يسمَّى بنظام الحسبة (السلمي)، وهو: "وظيفة إدارية للدولة مهمتها مراقبة الناس والأسواق وحماية الناس من الانحراف عن آداب الدين، ومن جشع التجار والصناع والغش والبيع بأكثر من ثمن المثل وعدم إجادة الصناعة، وخلاصة مهمتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتشبه ما تقوم به البلديات الآن من مراقبة الأسواق وما تقوم به إدارة الأمن العام من مراقبة الآداب. وما تقوم به النيابة العامة من تقديم الجاني إلى القضاء" (الزحيلي، 1433هـ، صفحة 2870 ج4). ولا شكَّ عند كلِّ عاقل أن في هذا تحقيقاً للتنمية حاضراً ومستقبلاً وفي كلِّ المجالات.

فأبو بكر رضي الله عنه حقَّق هذا النِّظام وحفظ حقَّ العامَّة في قوتهم ممن صدقات الزَّكاة الَّي منعها بعض النَّاس، وألزمهم الحق بالقوة، وقال قولته المشهورة: "والله لو منعوني عناق بعير كان يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه، وفي خلافة عمر بن الخطاب والَّذي يعتبره البعض المؤصل أو المنظر الحقيقي لهذا النظام، قد ولَّى من ينظر في الأسواق والتفتيش على المكاييل والموازين...، في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد سارت على الطريقة نفسها التي سارت عليها في عهد من سبقه من الخلفاء، وقد أولاها رضي الله عنه عناية خاصة بالإشراف على مصالح المسلمين، ومن ذلك ما يتعلق بالحسبة في الأسواق وغيرها، ومن حسبته على ولاته الذين أمرهم على الأنصار (العالمية، 1433ه، صفحة 53 إلى 63)

وفي حثِّه صلى الله عليه وسلَّم على إدامة الغرس النباتي حتى مع قيام الساعة، وترتُّب الجزاء الحسن عليه، ثمَّ دعوته إلى استصلاح الأراضي تحقيقاً للأمن البيئي والاقتصادي، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جرى تنظيم هذه العمليَّة بما يضمن تحقيقها جدِّياً، واشتهر معه قاعدة: "ليس لمتحجر حق بعد ثلاث سنين"، أي إذا احتجز شخص أرضاً مواتاً ولم يعمرها خلال ثلاث سنوات، سُحب منه الحق وأُعطيت لمن يقدر على إحيائها وزراعتها، وعلى هذا صار فقهاء المسلمين في كتبهم عند الكلام على فقه إحياء الموات. (الزحيلي، 1433هـ، صفحة 4764 ج6)، وقد ذكر معنا من قبل منع عمر تقسيم أرض السواد في العراق.

في باب الإنفاق وتشريع الوقف، وهما أعلى مراتب تحقيق التنمية، ظهر في عهد النَّبي والخلفاء من بعده أوقاف كثيرة، مكَّنت من حفظ حاجيات الأمة وأمنها، فمثلا:

- وقف النَّبي يصلى الله عليه وسلَّم أرض مخيريق، وهي أرضٌ تصدق بها يهودي تضمُّ سبع بساتين.
- وقف بئر رومة، عندما قدم المهاجرون إلى المدينة وكانت المياه العذبة محتكرة في بئر رومة، حث النبي ﷺ على شرائها، فاشترها عثمان بن عفان رضي الله عنه وجعلها وقفاً مجانياً يستسقي منه الغني والفقير وابن السبيل، وهي أصل وقفي مستمر الإنتاج منذ ذلك الزمن.
- وقف أرض خيبر، أصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرضاً بخيبر لم يصب مالاً قط أنفس منه، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال له النبي ﷺ: *"إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها"*، فتصدق بها عمر أنه لا يُباع أصلها ولا يُوهب ولا يُورث، وتُصرف ثمارها على الفقراء والذوي القربى والرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف (البخاري، 1993م، صفحة 1019 ج3).
- أوقف علي رضى الله عنه ضيعتيه المعروفتين بـ "أبي نيزر والبغيغة" على فقراء المدينة وابن السبيل، وجاء في نص الوصية أن لا تباعا (مغربي، 1414ه,، صفحة 229 ج3).

وقد سار الخلفاء من بعده فظهرت أوقاف عديدة، واتسع نطاق الأوقاف ليشمل الدور، والأراضي الزراعية، والآبار، والسلاح، والدواب، وأصبحت الدور الموقوفة في المدينة ومكة والكوفة محطات إيواء للمسافرين والمحتاجين، مما شكل تمية وأمناً اقتصادي ذو أثر مستدام أزال العبء المالي على خلقٍ كثير.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

وكحماية للموارد المائية، (وهي ركن من أركان الزاوية في منظومة التنميةِ الدائمة) نهى النبي ﷺ عن الإسراف في استخدام المياه حتى لو كان الغرض تأدية شعيرة دينية كالوقت والوضوء، وتحقيقاً للأمن والتنمية في هذا المجال، وبسبب اتِّساع الدَّولة الإسلاميَّة سار الخلفاء من بعده، فهذا عمر وعثمان رضي الله عنه يحفظان السدود ويحفران الآبار العامة، ثمَّ تحديد على وتحديد أوقات وأدوار للسقيا لتستفيد منها النَّاس دون نزاع أو استنزاف للمخزون الجوفي.

راعى الخلفاء المصلحة العامَّة، وسدُّوا الذريعة، وأصدروا قرارات تنمويَّة نافعة، تحفظ أمنهم على كافة الأصعدة، فمثلاً:

- أثبت الفاروق رضي الله عنه ما يسمى الآن بالضَّمان الاجتماعي، حيث أسقط رضي الله عنه الجزية عن شيخ كبير ضرير وجده يسأل النَّاس، وفرض له ما يعول به نفسه من بيت مال المسلمين، وأدخل مورداً جديداً يدعم به التنمية الاقتصاديَّة، حيث فرض أموالاً على الوافدين إلى دار الإسلام كما كانت تؤخذ من المسلمين في بلاد الكفر معاملةً بالمثل. سمِّي "العشور" (الحواجز الجمركيَّة بالمفهوم المعاصر) (حلعوط، صفحة 30)، فأوجب على المسلمين ربع العشر، وعلى الذمِّي نصف العشر، وعلى أهل ديار الحرب العشر (يعقوب، 1431، صفحة 148).
- أعطى علي رضي الله عنه ديَّة قتلى المسلمين الَّذين لم يعرف غريمهم من بيت مال المسلمين ضماناً اجتماعيًّا لذويهم (حلعوط، صفحة 47)، كرجلٍ مات في زحامٍ يوم الجمعة (الصنعاني، صفحة 122 ج15).

خاتمة.

لا شك ولا مراء عند من قرأ بعض ما تقدم، وتوسع فيه بالبحث والتَّأمل والنَّظر، أن للتربية الإسلامية دورا كبيراً في تنشئة الفرد الكبير والصغير على التنمية المستدامة، وأنَّ الاعتماد والارتكاز عليها من أهم ما يعين على حفظ التنمية والأمن القومي اقتصادياً وغذائياً وصحةً وتعليماً، ثمَّ دوامها في الحاضر والمستقبل القريب والبعيد، إذ هي ليست مالاً يفنى ولا مورداً محسوساً يبلى، وإنما هي دافع ومانع، إنها منهجٌ وفكرٌ وعقلٌ وروحٌ وإحساس بالمسؤوليَّة، ينتقل من السابق إلى اللاحق، ومن الكبير إلى الصغير ومن المنظِّر إلى المطبِّق.

ولسبيل تفعيل دورِها في تحقيق التنمية المستدامة يجب استحضار مقوّماتها وأبعادها في بناء الفرد تعلُّماً وتعليماً وعملاً، ثم إدراجها في المناهج الاقتصاديَّة، وربطها بالقضايا المعاصرة في المجالات المختلفة، تربيةً وبيئةً واجتماعياً وعسكرياً وفلاحياً ومالياً، لأنه ما جاءت الشَّريعة الإسلاميَّة إلاَّ بالمصالح ودرء المفاسد ومراعاة الأحسن والأجود للإنسان روحيًا ومادّياً، حاضراً ومستقبلاً والمؤمن عزيزٌ عليه دينه، ليس له فصله عن حياته وأحواله، مادام منبعه الحاكم الحكيم المصلح العليم الخبير.

الإحالات والمراجع:

- بلمشري بشرى، بن عوالي الجلالي، حدوش شروق. (2021م). البيئة والتنمية المستدامة من لمنظور إسلامي. *الحوكمة*، 139.
- إبو الفداء عماد الدين بن كثير. (1431). *تفسير القرآن العظيم*. السعوديَّة: دار ابن الجوزي.
- أبو يوسف إبراهيم بن يعقوب. (1431). *الخراج*. المكتبة الأزهرية.
- أحمد بن حنبل الشيباني. (1995م). *مسند أحمد*. 1995م: دار الحديث.
- أحمد بن عبد الحليم تقي الدين. (1987م). *الفتاوى الكبرى*. بيروت: دار الكتب العلمية.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

- إيمان القادري. (2022م). دور التشريعات الإسلامية في تحقيق ةالتنمية المستدامة. *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*، 339.
- سعيد بن منصور الجوزجاني. (1982م). *سنن سعيد بن منصور _من الفرائص إلى الجهاد_*. الهند: الدار السلفية.
- شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي. (بلا تاريخ). *أنوار البروق في أنواء الفروق (الفروق للقرافي)*. منشورات عالم الكتب.
- صبحي رمضان فرج سعد. (13 جوان, 2025م). *مجلة رواء الفكرية الإلكترونية*. تم الاسترداد من رواء: rawaamagazine.com
- عاطف سيد. (2008م). *التربية الإسلاميَّة أصولها ومنهجا ومعلمها*. دار الفكر العربي.
- عامر محمد نزار حلعوط. (بلا تاريخ). *السياسة المالية في عهد الخلفاء الراشدين*. دار إحيار النشر الرقمي.
- عبد الرزاق الصنعاني. (بلا تاريخ). *المصنف*. بيروت: المكتب الإسلامي.
- عبد القادر السلمي. (بلا تاريخ). *الحسبة في الإسلام*. تم الاسترداد من موقع صيد: saaid.org/alsafinh/48.htm
- فيحاء نايف. (2013م). *البيئة والتربية البيئيَّة*. مكتبة الرشد.
- مجموعة مؤلِّفين. (2017م). *مدونة الوقف الفقهية*. المويت: الأمانة العامة للأوقاف.
- محمد الأمين الشنقيطي. (1995م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. بيروت: دار الفكر.
- محمد بن إسماعيل البخاري. (1993م). *صحيح البخاري*. دمشق: دار ابن كثير_دار اليمامة.
- محمد بن جرير الطَّبري. (1422هـ). *جامع البيان في تأويل آي القرآن*. هجر.
- محمد مغربي. (1414ه,). *أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجري* . جدة: دار تهامة.
- مصطفى عطية جمعة. (2016م). *الإسلام والتنمية المستدامة*. القاهرة: شمس للنشر والإعلام.
- مقداد يالجن. (1990م). *منابع مشكلات الأمة الإسلامية والعالم المعاصر ودور التربية الإسلامية وقيمها فى معالجتها*. الرياض: دار عالم الكتب.
- مناهج جامعة المدينة العالمية. (1433ه). *الحسبة*. المدينة المنورة: جامعة المدينة المنورة.
- موسى شاهين. (2002). *فتح المنعم ، شرح صحيح مسلم*. دار الشروق.
- وهبة الزحيلي. (1433هـ). *الفقه الإسلامي وأدلته*. سوريا: دار الفكر.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014